حسين أحمد أمين

يكسر الإشارات الحمراء

- من الذى قال إن صوت المرأة عورة ؟
- ٩٧٪ من الأحاديث مخترعة لأسباب سياسية .
- الحجاب سلوك فارسى .
- « حسن البنا » ليس مجددًا بقدر ما هو داعية !
- أبو هريرة لم يعرف النبى إلا فى سنواته الثلاثة الأخيرة .
- الفصل بين علماء الدين والشريعة فصل خاطئ .
- « دليل المسلم الحزين » ليس أفضل ما كتبت !

obeikandi.com

فى الثانية عشرة من عمره طلب مدرس التاريخ من التلميذ حسين أحمد أمين عمل بحث عن الخلاف بن الأمين والمأمون ، ويومها عكف التلميذ على البحث حتى انتهى من إعداده ، وقبل أن يسلمه إلى أستاذه ، عرضه على والده ـ الكاتب الكبير ـ الذى تصفحه ثم توجه إلى الابن متسائلاً : لماذا اقتصرت مصادر البحث على الشيعة والعباسيين المعروفين بعدائهم لعلى بن أبى طالب ؟ .. لابد أن تأخذ فى الحسبان عندما تقرأ المراجع ميول واتجاهات كتابها ومنذ هذه السن المبكرة عرف الصبى السبيل إلى البحث والتدقيق ، حتى يخرج بأعمال غير منحازة ، وبمضى الوقت اعتاد الباحث الجرأة ، خاصة فى قضايا حساسة خرج منها بآراء اعتبرها الكثيرون غريبة وغير مألوفة ، لدرجة أن بعض دور النشر أغلقت أبوابها فى وجهه ، ومع هذا لم يعرف اليأس طريقه إليه ، وحسين أمين أستاذ العلوم الإسلامية بالجامعة الأمريكية استطاع بسلوك الدبلوماسى وعقلية الأديب أن يدخل عالم الفكر بواحد من أهم الكتب فى الفكر الإسلامى ، وهو "دليل المسلم الحزين" ، وأعقبه بكتابات متعددة جعلت من الحوار معه متعة لا تقاوم .

بعض العلماء يتبنون مناهج فقهية جديدة بعيدة عن المذاهب القديمة بغرض فتح باب الاجتهاد فما رؤيتكم لذلك ؟

اتفق تمامًا مع هذا الاتجاه ، ولا اقر ما حدث من بعض فقهاء المسلمين الذين أغلقوا باب الاجتهاد بدعوى أن المذاهب الأربعة قالت بكل ما يمكن أن يقال وأنه ليس أمامنا بعد هذا سوى أن نشرح ونكتب حواشى على المتون .. باب الاجتهاد ما كان ينبغى أن يغلق قط ، ومع إجلالى التام لأبى حنيفة والشافعى ومالك والإمام أحمد بن حنبل فإنهم بشر عاشوا فى ظروف تختلف بالتأكيد عن ظروفنا ونحن أيضًا بشر من حقنا أن نُعمل فكرنا فى الإسلام بحيث نجعل تعاليمه متمشية مع احتياجات العصر ومقتضياته لأن التحديات التى تواجهنا الآن ما كان لأئمة المذاهب الأربعة أن يحلموا بها .. فلا يجب أن نحرم أنفسنا وهذا بالضبط ما نادى به جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده عندما فتحا باب الاجتهاد من جديد لأن فتح باب الاجتهاد يمنع شرًا عظيمًا عن أمة الإسلام .

وكيف كان حال المسلمين بعد غلق باب الاجتهاد ؟

كان المسلمون يلجأون إلى اختراع أحاديث نبوية وينسبونها إلى الرسول ﷺ حتى تتمشى مع التغيرات الطارئة والاحتياجات الجديدة ، ولذلك لجأوا إلى وسيلة غير أمينة وهى نسبة أحاديث للرسول ﷺ لدفع معتقداتهم وآرائهم الجديدة إلى الأمام ، تمشيًا مع الحكام ولجأ كثير من الخلفاء إلى الاستعانة بالفقهاء كى يطالبوهم بالبحث عن أحاديث بعينها كلما أرادوا تغييرًا محددًا .. ويحضرنى مثال فى مرحلة مبكرة أثناء فتنة عبد الله بن الزبير وهيمنته إلى الحجاز وتأثيره فى الحجاج القادمين من الشام لتحويلهم ضد الدولة الأموية فلجأ عبد الملك بن مراون إلى استدعاء الفقيه الكبير "الزهرى" وطلب منه أن يبحث عن حديث يجعل من الحج لبيت المقدس ما يغنى عن الحج إلى البيت الحرام فأتى الزهرى بمثل هذا الحديث ، والذى لا أشك فى أنه اخترعه إرضاء لمشيئة عبد الملك بن مراون ، ومن بعده لجأ كثير من الفقهاء إلى اختراع أحاديث .. لذا فإن فتح باب الاجتهاد يسد الباب أمام تلك المحاولات .

ماذا عن آراء بعض المفكرين التى تكتفى بشراء المذاهب القديمة .. أم أننا لازلنا بحاجة إلى مذاهب حديثة نتيجة ما يستجد من أفكار وأحداث عصرية ؟

بالتأكيد نحن فى حاجة إلى مذاهب حديثة كما أننا فى حاجة أكيدة إلى إدخال المنهج التاريخى فى دراستنا الإسلامية وهو ما يتجاهله معظم المتشددين ودعاة الجمود .. (وصمت قليلاً ثم عاد ليقول) : الوحيد ـ من وجهة نظرى ـ من مفكرى العصر الوسيط الذى أخذ بالمنهج التاريخى هو العلامة ابن خلدون رغم أنه لم يُخلف مدرسة فكرية قط ، فقد كتب مقدمته الشهيرة ولم يتبعه الفقهاء فى منهجه حتى أعيد اكتشاف ابن خلدون فى العالم الإسلامى بفضل الشيخ محمد عبده الذى ذهب إلى باريس فوجد الفرنسيين يسألوه عن مفكر رهيب القدر فى التاريخ الإسلامى وقد أطلقوا عليه "مونتسكيو العرب". فعاد الشيخ محمد عبده إلى مصر ليتساءل : لماذا لا ننظر إلى ابن خلدون ومقدمته وكان له فضل إعادة اكتشافه فى أواخر القرن التاسع عشر أى بعد أكثر من أربعمائة عام على وفاة ابن خلدون .

"نحو فقه جديد" كتاب للمفكر جمال البنا يهاجم فيه العلماء والفقهاء القدامى ويحملهم سبب تخلف المجتمعات الإسلامية فهل تتفقون معه ؟

هم ليسوا مسئولين عن تخلف المجتمع الإسلامى ، ولكن تقديسنا المبالغ لمذاهبهم هو الذى تسبب فى تخلف العالم الإسلامى ، ذلك لأنهم أناس عظماء واسعى المعرفة بذلوا أقصى جهد مخلص فى محاولة تفسير وتحديث الأحكام الإسلامية ، ولكن هناك نقطة ينبغى مراعاتها فمثل أبى حنيفة فارسى الأصل لذلك تأثرت أحكامه كثيرًا بالأوضاع والقيم الفارسية على عكس الإمام مالك الذى جاء من الحجاز .. ففكر هؤلاء ليس موضوعى مجرد وإنما يعكس قيم المجتمعات التى نشأوا فيها .

هل تستطيع أن تسوق لنا أمثلة منها ؟

على سبيل المثال احترام المرأة فى الفقه المالكى أكبر بكثير من احترام أبى حنيفة لها .. ذلك لأن نظرة الفرس إلى المرأة كانت مختلفة جدًا عن النظرة العربية ، واشتراط أبى حنيفة لعامل الكفاءة بين الزوجين ليس موجودًا فى المذهب المالكى كما أن الفرس من الشعوب التى عرفت الحجاب الكثيف للمرأة قبل الإسلام بألف عام وبالتحديد منذ عصر "داريوس" كان هناك حجاب كثيف على المرأة الفارسية سواء فى تنقلاتها أو زياراتها أو ملابسها وعندما سيطر الفرس على العلوم الدينية فى العصر العباسى تاركين للعرب أمور الدولة والحرب ، فانشغل أمثال أبى حنيفة والطبرى بالعلوم الدينية وغلبت النظرة الفارسية ، والحجاب بالتأكيد سلوك فارسى أكثر منه عربى .. فإذا قرأنا كتاب عظيم مثل "الأغانى" لأبى فرج الأصفهانى نجد "سكينة بنت الحسين" أو عائشة بنت طلحة بن عبيد الله" كانتا لهما صالونات أدبية يخرجن إليها سافرات ويناقشن الرجال ويحضر مثل هذه المجالس شعراء مثل عمرو بن أبى ربيعة ونقاد أدبيين "كابن أبى عتيق" يحاورونهن ويجادلونهن ، (ثم تساءل مستنكرًا) : من الذى قال بعد ذلك إن صوت المرأة عورة وأنها يجب أن تلزم دارها ؟ ويجيب عن تساؤله بقوله : إن جميل بثينة كان يقابلها وهى متزوجة وزوجها يعلم أن جميلاً يحبها ولكن طهارة موقف جميل وبثينة جعل الزوج يسمح لهما باللقاء !!

يقال أن الله يبعث فى المسلمين كل فترة مجدداً لدينهم يحمى الدين مما قد يلصقه البعض به من زيف .. ما هو تقديركم لهذه المقولة ؟

أشك فى أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للناس دينهم .. إنما قد يظهر بالفعل من وقت لآخر مجددون يحاولون التوفيق بين العقيدة وبين مقتضيات العصر وتحدياته التى دخلت على الدين بسبب المتغيرات الضخمة التى يشهدها ، ولابد من إعادة تفسير العقيدة على ضوء ما يحدث مما دعا الكثيرين إلى الحديث عن ذلك سواء الشيخ "مصطفى المراغى" الذى أذكر مقولته الشهيرة : "إذا بدا تعارض بين نص دينى وحقيقة علمية ثابتة يجب أن نعيد تفسير النص على ضوء الحقيقة العلمية الثابتة" .

وما هو تقديركم لأئمة مثل محمد عبده ، حسن البنا ، جمال الدين الأفغانى ؟

بالتأكيد كان العالم الإسلامى فى حاجة ماسة إلى أمثال "الأفغانى" و "محمد عبده" وخاصة بعد اصطدام العالم الإسلامى بكم ضخم من التغيرات التى حدثت فى أحوال المسلمين نتيجة اتصالهم بالفرنجة مما اقتضى تغييرًا شاملاً فى النظرة الإسلامية تجاه احتياجات العصر بعد قرون من الركود الفكرى والدينى حجب عن المسلمين الرؤية الصحيحة فلا يظهرً المجدد على رأس كل مائة وإنما كلما تضخمت التحديات أمام الأمة الإسلامية نتيجة تغير الظروف . (ثم تساءل مندهشا) : هل "حسن البنا" من المجددين : بالتأكيد محمد عبده والأفغانى من المجددين إنما حسن البنا من أهم الشخصيات التى ظهرت فى العالم الإسلامى فى أواخر العقد الثالث سنة ١٩٢٨ بحركة الإخوان المسلمين ولا اعتقد أنه مجدد فى الفكر الإسلامى بقدر ما هو داعية إلى الأخذ بالتعاليم الإسلامية فى الأمور السياسية والاجتماعية وأن الاحكام القرآنية ينبغى أن تكون دستورًا للأمة الإسلامية نستغنى بها عن القوانين الوضعية التى يصنعها البشر لأن البشر يخطئون فى حين أن الأحكام القرآنية لا يمكن أن تخطئ . ثم جاء "سيد قطب" ليطور من هذه النظرة ويتطرف فى تفسير مقولة حسن البنا وأتى بآراء من التطرف كان من الممكن أن يختلف معها سابقه إذا قدر له أن يعاصرها ، وذلك بأنه اعتبر الحكومات الإسلامية الراهنة حكومات جاهلية ينبغى محاربتها أسوة بأية حكومة غير إسلامية .. لذلك فإن حسن البنا يعد مفكرًا معتدلاً إذا ما قورن بالشيخ سيد قطب .

والإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى ؟

صمت الكاتب حسين أحمد أمين قليلاً ثم عاد ليقول : "لا أكتمك بأنى لا أكن حبًا كبيرًا للشيخ الشعراوى لأسباب عديدة .. ومفكر مثل زكى نجيب محمود ـ على سبيل المثال ـ كان يرى الشعراوى مفسرًا قديرًا للقرآن على أساس اللغة ومعانى الألفاظ على ضوء استخداماتها فى الوقت الذى نزلت فيه الآيات والسور ، وعندما راجعت وشاهدت واستمعت إلى الشيخ الشعراوى فى التليفزيون لأرى مدى صحة مقولة زكى نجيب محمود وجدت أن تفسير الشعراوى كاملاً مأخوذًا من الطبرى ـ الذى يعد أعظم تفسير للقرآن فى رأيى ـ ولكنه كان قائمًا على أساس اللغة ومعانى الألفاظ وفق استخداماتها فى الوقت الذى نزلت فيه السور والآيات بينما لم يأت الشعراوى بجديد .. فهو إذن غير مجدد فى التفسير .

ولكن لا شك أن الشيخ الشعراوى كان لديه قبول لدى الناس وملكة السيطرة على مشاعرهم ؟

طبعًا .. فهو واعظ للعامة .. إيماءاته .. حركات يديه .. طريقته الغوغائية فى الحديث .. هو أشبه بواعظ شعبى أو الذين أطلقوا عليهم فى العصر الوسيط لفظ "القصاص" وهم أناس يلعبون على مشاعر الجماهير غير المثقفة التى يعوزها العلم بالإسلام على أصوله .. كان يثير مشاعرهم ويأتى بأقوال غير دقيقة وربما قصص غير صحيحة لتعزيز رأيه .. لقد أصبح الرجل أشبه بالقديسين عند العامة فى سنواته الأخيرة .

أثار إنكار الدكتور مصطفى محمود لمسألة الشفاعة جدلاً واسعًا فى الأيام الأخيرة ـ فما هو رأيكم فى اقتران الشفاعة بالتواكل لدى البعض ؟

أنا متفق تمامًا مع مصطفى محمود .. وصمت قليلاً ثم عاد ليقول : ولو أن هناك آية قرآنية تقول : "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ" أى أن الله سيأذن للبعض بالشفاعة سواء كانوا رسل أو ملائكة .. ولكن حديث الدكتور مصطفى محمود معقول ويتفق تمامًا مع العقل ويؤدى فعلاً إلى التواكل رغم أن كل إنسان مسئول عما جنت يداه وليس هناك خلاف بينى وبين الدكتور مصطفى محمود .

(ثم عاد الكاتب حسين أحمد أمين يسأل مستفسرًا) : ولكن ما معنى يشفع .. يتوسط ؟

أى أنه كان المفروض أن يعاقبه الله ثم تغير الرأى نتيجة لتوسط الشفيع .. أعتقد أن فكرة الشفاعة تستند إلى أحاديث موضوعة .

وهل تؤمنون بحرية الحوار والاختلاف حول قضايا الدين التى يعتبرها البعض مسلمات بينما يعتقد آخرون أنها لا زالت محل نقاش مثل اتساع توقيت الحج ؟

مثل هذا الموضوع يمكن فتح باب النقاش فيه ومع تقديرى للدواعى التى دفعت البعض بالقول بأنه ليس هناك موعد محدد بالذات إنما اعتقد أن تحديد موعد محدد للحج له تأثير طيب وهو التقاء كافة الشعوب الإسلامية معًا فى هذا الحشد الرهيب من الأبيض والأسود .. من الشمال والجنوب .. كلهم يجتمعون فى مكان واحد ويلبسون نفس الزى ويؤدون نفس المناسك مما يخلق نوعًا من الرغبة والوحدة بين الشعوب الإسلامية وذلك من دواعى التضامن والتكاتف بينهم بينما لو اتسعت التواريخ الصالحة للحج لن تتحقق كل هذه المزايا .

والخلاف حول بعض الأحاديث المتواترة ؟

هناك بالتأكيد كمية ضخمة من الأحاديث بعضها مخترع وموضوع ويكفى معرفة أن البخارى حينما أراد تنقية الأحاديث من الموضوع بسبب كثرتها وإقبال كل من له مصلحة على وضع أحاديث فقد تجمع لديه أكثر من مائة ألف حديث اختار منها سبعة آلاف نصفهم تقريبًا لا خلاف عليه سوى بعض الالفاظ البسيطة ويمكن القول أن البخارى اختار حوالى ثلاثة آلاف حديث من بين أكثر من مائة ألف أى ثلاثة فى المائة .. واختراع الأحاديث كان لأسباب كثيرة بعضها لدواعى سياسية .

وبدا ذلك فى الواقع مع الخلاف بين الشيعة والسنة عندما بدأ الشيعة ينسبون أحاديث للنبى تثبت أحقيتهم فى خلافه الرسول وللأسف لم ينبر الأمويون للتصدى لمثل هذه الإدعاءات وإنما ظنوا أن الرد عليها يكون باختراع أحاديث مقابلة فإذا اخترع الشيعة حديثًا يقول : "إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فانزلوه" يخترع الأمويون حديثًا مقابلاً : "والله لا تمر الأيام والليالى حتى يملك معاوية" !!

بالإضافة إلى الأحاديث التى وضعتها شعوب الأقطار المفتوحة ويعتقد البعض فى صحتها مثل : "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن جندها أفضل أجناد الأرض " هذا الحديث بالتأكيد من وضع المصريين بل إن هناك بلدة صغيرة جدًا شاهدتها عندما كنت سفيرًا فى الجزائر اسمها "شرشل" وفوجئت بعدد من الأحاديث الموضوعة التى تتحدث عن فضائل أهل "شرشل" .

ويحضرنى حديث يقول : "سيظهر فى أمتى فى العراق رجل اسمه أبو حنيفة يكون أعلم أهل الأرض" .. بينما يتعارض هذا الحديث تعارضًا تامًا مع الآية القرآنية التى تنفى علم الرسول ﷺ بأمور الغيب وكثير من الخلفاء لجأ إلى اختراع الأحاديث مثل عبد الملك بن مروان والخليفة المهدى ـ ثالث الخلفاء العباسيين ـ الذى كان هاويًا لسباق الحمام .. حتى أبو هريرة الذى يوقره المسلمون كثيرًا بينما يشهد التاريخ بأنه لم يعرف النبى سوى فى السنوات الثلاثة الأخيرة من حياته ومع ذلك خرج بعدد هائل من الأحاديث لم يخرج بمثلها صحابى جليل مثل أبى بكر وعمر ﷺ .

وهناك من شكك فى صحتها أثناء حياة أبى هريرة مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ وهو التقى الورع ـ وأسوق على ذلك مثالاً عن قصة حديث أشاعه أبو هريرة يقول : "اقتلوا الكلاب كافة إلا كلاب الصيد" وجاء ليرويه : "إلا كلاب الصيد والزرع والحراسة" فعلق عبد الله بن عمر على ذلك ساخرًا : "لقد أضاف أبو هريرة هذه الإضافة حين امتلك مزرعة أراد كلابًا لحراستها" .

وهل قام "القصاص" بنفس الدور فى اختراع الأحاديث ؟

نعم .. كثيرون اخترعوا أحاديث بغرض طيب لتحبيب الناس فى الصلاة ـ على سبيل المثال ـ فأشاعوا أن من قرأ "قل هو الله أحد فى الصلاة كتب الله له قصرًا فى الجنة طوله ألف ميل أو خلق له عن كل كلمة قرأها طائرًا منقاره من لؤلؤ ... إلخ" هذه الأحاديث اخترعت لإرضاء العامة .

وهناك قصة مشهورة عن "أحمد بن حنبل" وصديقه "يحيى بن معين" عندما ذهبا يومًا إلى المسجد فسمعوا أحد القصاص أو الوعاظ يقول : عن يحيى بن معين عن أحمد

ابن حنبل عن ..... أن الرسول قال كذا بينما جاء بحديث موضوع ، فـالتفت "أحمـد بـن حنبل" إلى صديقه "يحيى بن معين" متعجبًا وطلب منـه التوجـه للقـاص لسـؤاله عـن مصدر الحديث فعاد وأصر على حديثه وحينئذ لم يجد يحيى بن معين مخرجًا سـوى أن يكشف عن شخصيته للواعظ ويؤكد له أنه لم يذكر قط هذا الحديث وأشار إلى ابـن حنبـل ليدعم رأيه . فما كـان مـن الرجـل سـوى أن اسـتنكر وصـاح : "أتتصـورون أنكـم أنتـم الوحيدون اللذان يحملان اسمى يحيى بن معين أو أحمد بن جنبل" بل وتجاوز ذلك مؤكـدًا أنه يعرف سبعة عشر شخصًا اسمهم يحيى بن معين وخمسة عشر صديقًا يدعون بـأحمد ابن حنبل !! وأصبح من السهل حفظ سلسلة ذهبية مـن الإسـناد واخـتراع أحـاديث فـى آخرها .

والإسرائيليات ؟

تساءل مستفسرا .. ما هى الإسرائيليات ؟

كثير من الناس يستخدمون هذا اللفظ تعبيرًا عن القصص والأحـاديث التـى دسـها بنـو إسرائيل أو اليهود على النبى والصحابة والإسلام بينمـا للإسـرائيليات معنـى مختلـف تمامًا فهى القصص الخاصة ببنى إسرائيل والتى وردت فـى القـرآن والحديـث وليسـت أكاذيب مندسة من اختراع اليهود .

ومنشأ القول بالإسرائيليات لدى العامة هو اتجاه أن كل ما لا يعجبنا ويرفضه العقل فـى كتابات علماء أفاضل مثل القرطبى . هو ملئ بالقصص التى لا يمكـن أن يقبلـها عقـل أو فكر متطور .

فالقرطبى إذا قال أن المرأة متى بلغت الخمسين أصبحت غير ملزمـة بالحجـاب أضحـت "مستقذرة" .. ما هذه الكلمـة الشـنيعة .. والقرطبـى وغـيره بحكـم انتمـاءهم للعصـر الوسيط أوردوا أشياء لا تتفق مع العقل ويرفضها الـذوق الحديـث .. وهنـا بـدأ النـاس ينكرون على القرطبى ذلك ويصفوه بأنه رجل فاضل وإنما دس اليهود فى تفسيره هـذه الأقوال التى تفتقد الدقة والأمانة والعلمية .

"الفقه والشريعة" .. هل تستطيعون وضع مفاهيم واضحة تفرق بين المصطلحين أم أن هناك ارتباطاً كبيرًا بينهما ؟

نعم .. هناك ارتباط كبير بينهما ولكنهما يختلفان ، والحديث عن تخصيص علماء للفقه وآخرين متخصصين فى الشريعة غير سليم .. (ثم تساءل مستنكرًا) ما هذا ؟ هل هى كنيسة تأمر أو محاكم تفتيش تصدر أحكامًا !! فأبو حنيفة كان تاجرًا للحرير و"الباقلانى" صاحب أحد أهم الكتب فى العلوم القرآنية كان تاجر بقول يذهب إلى عمله بقالاً فى الصباح ثم يكتب فى العلوم القرآنية مساءً .. من أين جاء هذا الاحتكار وحصره على شهادة العالمية من الأزهر أو التخرج من مدرسة دينية بعينها .. فكل شخص يهتم بمعرفة الحقيقة عليه دراسة تراثنا الرائع وله الحق بعد ذلك فى الاجتهاد والتفكير والخوض فى الفقه والشريعة كما شاء .. لماذا هذه الكهنوتية .. فالإسلام ليس حكرًا على أحد وإلا وجدنا أنفسنا فى وضع تنشأ معه فى الإسلام كنيسة وهو ما لم يكن مقصودًا قط ، ليس فى الإسلام كنيسة ولا كهنوت ولا رجال دين ولكن هناك علماء أو غير علماء .

والمؤسف فى زمننا التعس أننا نجد شباب مخلص النية فى اتجاهه للتدين فيذهب لشيخ أو أمير جماعة أو صحيفة دينية ليسألهم هل "صبغة اليود" تنقض الوضوء .. هل مصافحة الرجل للمرأة حرام .. هل صوت المرأة عورة .. وفتوى الشيخ أو أمير الجماعة تصبح كلامًا غير قابل للنقاش لماذا لا نقرأ ونبحث لأنفسنا فى الكتب العظيمة التى خلفها الأوائل ولماذا اللجوء إلى جماعة معظم أعضاءها نصابين أو لهم مصلحة فى السيطرة على عقول الشباب .

وبماذا تفسرون هذه الحالة ؟

ربما لارتفاع أسعار الكتب .. فتفسير القرطبى ـ على سبيل المثال ـ يتكون من خمسين مجلدًا وما هى النسبة من الشباب التى تستطيع اقتناء أو شراء هذا التفسير ؟ فيصبح سهلاً على الشباب معرفة ذلك عن طريق رسالة أو سؤال إلى فقيه وهذه أولى مراحل إنشاء كنيسة أو كهنوت فى الإسلام وأنبه إلى خطورة ذلك .

وهل هناك شروط محددة للاجتهاد ؟

أجاب مؤكدًا : العلم .. فقط العلم .. وأى شخص مخلص يريد دراسة الإسلام دراسة متعمقة له الحق أن يجتهد وضوابط الاجتهاد هى التقوى الحقيقية والإيمان الذى يصحبه علم غزير .

أثارت حادثة النائبة التركية التى ارتدت حجابًا فى البرلمان جدلاً واسعًا وخلافًا فى الرأى .. هل تعتقدون أن هذا الحادث يعد مؤشرًا لتنامى صوت التيار الدينى وعودته قويًا من جديد أو مؤشرًا على تعصب العلمانية التركية ؟

هذا مؤشر للاثنين معًا .. نمو التيار الدينى غير المتوقع فى تركيا من الكثيرين بعد عصر أتاتورك ـ هو الذى أشعر العلمانيين فى السلطة بالجزع الشديد وأن علمانية أتاتورك فى خطر .. لقد ذهبت كثيرًا إلى تركيا وكنت أتعجب حينما استقل سيارة أجرة وأجد السائق يستمع إلى شريط قرآن كريم وقد علق مسبحة فى السيارة بينما وضع أمامه صورة أتاتورك وعندما سألت السائق : هل هناك تناقض فى ذلك نفى مؤكدًا على أن نظرتهم إلى أتاتورك تعبر عن بطل قومى عظيم لأنه مؤسس الجمهورية التركية وصاحب إصلاحات لا حد لها وإنما ما كان له أن يقترب من تعاليم الدين وأحكامه ، ولكن لا شك أن الجميع يوقر أتاتورك مع علمانيته المفرطة .

نستطيع أن نلمس عودة إلى الدين والتدين فى تركيا ولكن حادثة النائبة التركية التى ارتدت الحجاب فى البرلمان مؤسفة وما كان ليحدث فى دولة إسلامية .. لقد استنكر الجميع حادثًا مشابهًا فى المدارس الفرنسية ، فحتى فى ظل أكثر الحكومات علمانية يجب أن نسمح للمرأة باختيار الزى الذى تراه مناسبًا لا أن نرفض جلوسها فى البرلمان بالحجاب ونعتبر ذلك ضد الدستور ، هذا كلام غير مقبول .

وكيف تستشرفون الوضع فى تركيا ـ هل ستشهد تنافس صراعات ونشاط الجماعات الأصولية أم سيتم قمع التجربة ؟

لا أستطيع التنبؤ بالغيب وإنما يتوقف الأمر على الأحوال الاجتماعية فالحجاب منتشر بصفة رئيسية بين الفلاحات والطبقات التركية الدنيا هذه الطبقة المتضررة من الظروف الاجتماعية وذلك عكس غير المتضررين فهم منفتحون على الغرب وأساليب الحياة

الغربية بصورة أكبر والحكم فى النهاية سيكون لهذه الأحوال الاجتماعية .. هل ستؤدى إلى تنامى التيار الدينى مما يهدد بانقلاب أو ما إذا كان الجيش العلمانى مستعدًا دائمًا إلى قمع الحركات الدينية حتى ولو كان فى هذا القمع سفك دماء مما سيسبب حرجًا شديدًا للحكومة التركية التى ترغب فى الظهور وكأنها متمسكة بالديمقراطية ـ خاصة أمام الاتحاد الأوروبى والمجتمع الدولى .

عبد الصبور شاهين .. محمد سعيد العشماوى .. نصر حامد أبو زيد تحدثوا عن أمور فقهية أثارت جدلاً واسعًا .. فكيف تقدرون توجهاتهم واجتهادهم من وجهة نظركم الخاصة ؟

تساءل مستفسرًا .. لماذا وضعت عبد الصبور شاهين فى زمرة هؤلاء .. إنه يختلف عنهم تمامًا ، ومع ذلك فمن حق نصر حامد أبو زيد ومحمد سعيد عشماوى أن يجتهدوا كما شاءوا وهم علماء واسعو العلم .. قراءاتهم فى الإسلام غزيرة ونيتهم حسنة بوجه عام ولكن بالطبع مسألة التفريق بين نصر حامد أبو زيد وزوجته تعد أضحوكة فإذا كانت الزوجة نفسها مقرة بصحة أقوال وآراء زوجها فكيف تقبل الانفصال عنه .. (ثم عاد ليتساءل) فى هذا العصر ؟ دعاوى تفريق ؟ حتى فى ظل العصور المظلمة لم يحدث ذلك .

لقد قرأت كتابين أو ثلاثة للدكتور نصر أبو زيد ولكنها من الصعوبة فى الفهم وتحتاج إلى مجهود كبير وليس هناك إمكانية لأن تصبح شعبية أو تقرأ على نطاق واسع ولكن ما أثير حولها من جدل هو الذى وسّع من نطاق قراءتها لأن الناس أرادت معرفة ماذا يحدث ـ أنا شخصيًا ـ أجد صعوبة كبيرة فى فهم كتب نصر أبو زيد ـ كذلك نفس الشىء ـ مع الفارق ـ مع سلمان رشدى فروايته "آيات شيطانية" صعبة للغاية على القارئ العادى ونجاح وشهرة هذه الرواية كان بفضل فتوى الخمينى بإهدار دمه ومظاهرات المسلمين فى إنجلترا والهجوم عليه فى الصحافة العربية .

أما محمد سعيد عشماوى فأتصور أن دراسته فى الإسلاميات واسعة ومن حقه أن يجتهد ونختلف معه فى الرأى إذا شئنا ولكن لا نسمح لأنفسنا إطلاقًا بمصادرة كتبه كما

حدث فى معرض الكتاب وفى الواقع ليس هناك أدعى لنجاح كتاب قدر ما يصادر أو يكفّر صاحبه ولسعيد العشماوى كتابات غزيرة العلم .. (وفكر قليلاً ثم قال) أتمسك هنا بقولة فولتير الشهيرة : "أنا أخالفك على طول الخط فى الرأى غير أنى مستعد لأن أريق آخر قطرة من دمى فى سبيل الدفاع عن حقك فى التعبير عن هذا الرأى" .. فماذا يخشى الناس . والخوف الشديد الذى سيطر على بعض علماء المسلمين هو دليل ضعف وعجز فى الواقع لأنهم لن يستطيعوا مقارعة الحجة بالحجة والرأى بالرأى الآخر .

وماذا عن الاستشراق وجهود الكتاب العرب مثل د. حسن حنفى ؟

هو مجتهد مرموق يتناول المساءل الإسلامية بروح علمية وإسلامية لا غبار عليه ولا شك فيه وأعتقد أنه يمثل التيار اليسارى فى الإسلام .

وحالة التفسير القرآنى المعاصرة .. كيف تقيمون التفاسير التى صدرت فى القرن العشرين لسيد قطب والشعراوى .. وغيرهم ؟

اعتقد أن أمثال تفسير سيد قطب (فى ظلال القرآن) وغيره سواء فى تفسير القرآن أو كتابة السيرة النبوية وخاصة (محمد رسول الحرية) لعبد الرحمن الشرقاوى .. هم أشخاص لهم آراء محددة اتخذوا من القرآن والسيرة مشجبًا يعلقون عليه آراءهم بشكل تعسفى ولا ينظرون للقرآن على أنه كتاب يعنى ما يقول وإنما يقول ما يعنون بينما القرآن حمال تأويل ويمكن أن يركز أحد على آيات دون غيرها وهذا ما يفعله كثير من الكتاب ـ على سبيل المثال ـ إذا حدثت فتنة طائفية استشهدوا بآية "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" للقول بسماحة الإسلام بينما يقول تفسير الطبرى أن هذه الآية نزلت قبل نزول آية السيف التى نسختها فيما بعد وقالت إما اعتناق الإسلام أو دفع الجزية عن يد صاغرة "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ" [بينما يستكمل الكاتب حسين أحمد أمين حديثه انتباتنى حالة من الدهشة لم أستطع إخفاءها فبادرنى ضاحكًا : كلامى يصدمك .. لكن اقرأى تفسير الطبرى وخاصة تفسير آية "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" ربما تستوضحين الخلاف]

ولكن لدى رأى .. يردده البعض ، وهو أن مثل هذه القضايا لا ينبغى إثارتها على الملأ وطرحها على صفحات الجرائد والمجلات ليقرأها العامة متواضعى الثقافة وإنما يختص بها فئة غزيرة العلم والمعرفة حتى نتجنب إحداث بلبلة ؟

صحيح .. كلامك مضبوط وسمعته قبل ذلك من الجماعات الإسلامية أثناء محاضرة لى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد إحدى المحاضرات دعتنى إحدى الجماعات الإسلامية إلى العشاء وقالوا : كلامك سليم وإنما لا يصح طرحه للعامة خاصة فى أمريكا التى بها أفراد حديثى العهد جدًا بالإسلام والزنوج الأمريكيون ليس لديهم فرص للتعمق فى الكتب التى قرأتها .. إنهم بالكاد يرون مختارات من صحيح البخارى وترجمة للقرآن بالإنجليزية ولن يستطيعوا مناقشتك وأنت بذلك تزعزع إيمانهم .. فمثلك يصلح مدرسًا وعالمًا لمدرسيهم وإنما نشر كتاباتك وإلقاء محاضراتك على العامة لن يكون فى صالحهم .. (وصمت قليلاً ثم عاد ليقول) ربما يكون كلامك صحيح ولكن عندما سُئل عمر بن الخطاب من أحد المستفسرين عن آية (وفاكهة وأبا) ما الأب يا أمير المؤمنين فرد عليه عمر : "نهينا عن التعمق والتكلف" دون أن يشرح له معنى الكلمة الغامض !

هذا هو رد أمير المؤمنين فما هو ردكم ؟

أجاب ضاحكًا : أرد بأنه صحيح أن قليل من العلم يؤدى إلى الشك فى الدين وكثيره يؤدى إلى الإيمان الصحيح .. من يريد أن يعرف بنفسه ينبغى أن يتبحر ويتعمق وليس هناك خطر ـ كما أزعم ـ من التبحر فى الدين ولكن ما يقوله البعض بأنه ليس لديهم وقت للقراءة والتعمق .. هؤلاء لا حق لهم أصلاً أن يكون لهم دين .. هل تريدون الحقيقة أم لا .. وهل تريدونها من الفقهاء الفطاحل أم من كتب ملقاة للبيع على قارعة الطريق وفوق الأرصفة تتحدث عن عذاب القبر وخلافه ؟!

بين الإعلام والدبلوماسية كانت مسيرتكم العلمية .. فما الفائدة التى حققها الكاتب حسين أحمد أمين من المجالين ؟

عملت فى الإذاعة البريطانية بالقسم العربى ثم استقلت أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ومازلت أحن للميكروفون وأعشقه (وربما تلاحظين صوتى الإذاعى) ثم قابلت "فتحى

رضوان" الذى منحنى بعد ذلك وظيفة فى إدارة المسارح بمصلحة الفنون مع الكاتب "يحيى حقى" .. وعندما طالعت الصحف لأجد إعلان عن طلب ملحقين دبلوماسيين تقدمت للاختبار ونجحت لأظل دبلوماسى حتى المعاش ، وللخارجية فضل كبير لأنها أتاحت لى فرصة التجوال فى العالم .. عشت أيامًا فى بلاد ما كنت أتصور الذهاب إليها وتعلمت لغات كثيرة وهناك مثل عربى قديم يقول : "من لم يعرف غير بلده لم يعرف بلده، ومن لم يعرف غير لغته لم يعرف لغته ومن لم يعرف غير دينه لم يعرف دينه" فماذا أفضل من الخارجية فرصة لمعرفة شعوب وأديان ولغات وحضارات ؟!

والتحول إلى الكتابة ؟

لم يكن تحولاً لاننى أكتب منذ سن سبع سنوات .. أى بمجرد ما تفتحت عيناى على والدى أحمد أمين الكاتب المعروف صاحب السيرة الحسنة بين الناس .. المفكر والعالم وصاحب العقلية الإسلامية المستنيرة .. كنت أكتب باستمرار ولكن لسوء حظى ضاقت فرص النشر أمامى ولم يقبل أحد نشر آرائى التى اعتبرها البعض شاذة وصارمة .. حتى جاء أحمد بهاء الدين ـ رحمه الله ـ فكان أول واحد يفتح الباب ويسمح لى بالنشر فى مجلة العربى الكويتية ثم أشاد بكتابى "دليل المسلم الحزين" الذى كان سبب حصولى علي جائزة أحسن كتاب فى معرض القاهرة الدولى للكتاب عام ١٩٨٤م ثم ظهرت له ترجمة فرنسية فى مايو عام ١٩٩٢ بباريس ومع ذلك اعتبر نفسى مولودًا وفى فمى ملعقة من فضة بسبب والدى أحمد أمين .